

البيئة في الشعر العربي القديم:

دراسة أيكولوجية في مقدمة قصيدة "الشَّمَقْمَقِيَّة" لابن الونان

The Environment in Classical Arabic Poetry: An Ecological Study in the Introduction of the Poem "Ash-Shamaqmaqiyya" by Ibn Al-Wannan

د. سليم رهيوي

Salim Rehioui

جامعة الشَّهيد حمّة لخضر الوادي (الجزائر)، rehioui-salim@univ-eloued.dz

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

تاريخ النشر: 2025/11/30

تاريخ القبول: 2025/10/26

تاريخ الاستلام: 2025/07/18

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف ملامح الوعي البيئي في الشعر العربي على ضوء النقد البيئي (الأيكولوجي)؛ وذلك نظرا لكون البيئة على اختلاف مكوناتها مقوماً هاماً في الإبداع الفني، ونظرا لصلة المبدع ووعيه بالطبيعة من جهة أخرى، واستلهامه منها الوصف والتّخيل والتّصوير. وقد اخترنا للتّطبيق، نماذج من مقدّمة قصيدة الشَّمَقْمَقِيَّة لابن الونان. من خلال قراءة تحليلية في نماذج من مقدّمة القصيدة وفق النّقد البيئي، وبعد تأسيس نظري للموضوع، خلصت الدراسة إلى أنّ القصيدة العربية القديمة تأسست على وعي بيئي بامتياز، وأنّ ابن الونان استلهم من الطبيعة دلالات ومعاني كثيرة تكشف عن عميق الصلة بين الإنسان وما يحيط به. كما خلصت الدراسة إلى أنّ القراءة الأيكولوجية للعمل الأدبي آلية نقدية في استنطاق معاني ودلالات كثيرة.

الكلمات المفتاحية: البيئة، الشعر العربي القديم، النّقد البيئي، الشَّمَقْمَقِيَّة، ابن الونان.

Abstract :

This study aims to explore the features of environmental awareness in Arabic poetry in light of the environmental (ecological) criticism. It is because the environment, in its different components, constitutes a significant element in artistic creativity. It also stems from the poet's connection and awareness of nature, and his inspiration drawn from it for description, imagination, and imagery. For the practical part, we selected models from the introduction of the poem *Ash-Shamaqmaqiyya* by Ibn Al-Wannan. Through an analytical study of these models from an eco-critical perspective, and after establishing a theoretical foundation for the topic, the study revealed that classical Arabic poetry was distinctly rooted in environmental awareness. It also indicated that Ibn Al-Wannan drew from nature several meanings and connotations that reveal a profound connection between Man and his surroundings. Moreover, it concluded that the ecological study of literary works serves as a critical approach to uncovering a plethora of meanings and connotations.

Keywords: The Environment, Classical Arabic Poetry, Eco-criticism, *Ash-Shamaqmaqiyya*, Ibn Al-Wannan.

المؤلف المرسل: د. سليم رهيوي، الإيميل: salimrehi@gmail.com

1. مقدّمة:

لا خلاف منذ العصور الأولى أنّ العمل الأدبي قرين بيئته؛ فلم يكن بمعزل - مهما اختلف زمانه - عن الطبيعة وما يحيط بها. وما كان له استغناء عن الاستئناس الفني بوصفها، والانغماس فيها، واستدعاء المعاني من غرائبها. والشاعر خاصّة ابن بيئته وموطنه وطبيعته، ما يزال يتغنّى بها، ويتماهاى مع مدلولاتها، فيقف عند الأطلال، ويصف الأطباء والأوعال، ويصوّر الناقة في معاناتها بين الوهاد وكثبان الرمال، ويلهم بالصحراء وشساعتها، وصعوبة الثقل والتّرحال فيها، مفتتنا بالهدوء والسّكينة في فلواتها. وقد شكّل هذا الأدب من استحضر الطبيعة ومظاهرها، مادة نقدية وجدلا بين النقاد وذائقي الشعر؛ وهذا من حيث العلاقة بين المبدع والطبيعة من جهة، ومن حيث الرّؤية الجمالية الفنّية للقصيدة والالتزام الفنّي والإنساني تجاه الطبيعة، وما تحتاجه من عناية وفهم، واستثمار لمكاسبها على الإنسان.

إنّ استحضر الشعراء للبيئة، يزيد من جمالية التّدوق والتّأويل النقدي في فهم تلك الصلة المتينة بين النّص والطبيعة أو السياق المكاني الذي ولد فيه، وقد شهد الأدب العربي هذه التّيمة في قصائد ودواوين كثيرة، خاصّة مع صفاء خاطرة العربي، وتنوّع البيئة بين المشرق والمغرب. ولدراسة نموذج من هذا الوعي وعلاقته بموضوع النقد البيئي كنقد أدبي معاصر له قوامه وأساسه، نعد في ورقتنا البحثية هذه إلى تتبع ملامح ومظاهر الوعي البيئي في مقدّمة القصيدة الشّمقمقية للشاعر ابن الويان، والتي تعدّ نموذجا لهذه الظاهرة الأدبية الاجتماعية. ومنه نطرح الإشكال الجوهرى الآتي: ما مظاهر وتحليلات الوعي البيئي في مقدّمة القصيدة الشّمقمقية لابن الونان؟ وبعض الأسئلة الفرعية التي لها صلة بالموضوع؛ ما مفهوم النّقد البيئي؟ ما طبيعة العلاقة بين البيئة والإبداع الأدبي؟ كيف بلورت تلك العلاقة منهجا نقديا يأخذ البيئة بعين الاعتبار في تقييم الإبداع؟

للإجابة على هذا الطرح، وتحقيق أهداف الدّراسة، اعتمدنا منهجا نقديا تحليليا في ضوء مبادئ النّقد البيئي، وهذا من خلال تحليل نماذج من مقدّمة القصيدة الشّمقمقية. وقد نظرنا في التّماذج من منظورين؛ ارتباط وصلة الشاعر بالبيئة، والذي يظهر من تكثيفه لعناصر الطبيعة في نظمه، الوعي البيئي في القصيدة، وهذا يظهر من خلال تحليل القيم الأخلاقية والإنسانية التي اشتملت عليها القصيدة.

2. النّقد البيئي ومعالّم التّأسيس:

لما كان لهذا النّقد علاقة وطيدة بالبيئة ويتمثّلات مختلف عناصرها في العمل الأدب، لزم من باب التّمهيد تقديم تحديد المقصود بالبيئة، وذلك ليتحدّد تبعا موضوع هذا النّقد، خاصة أنّ الخلاف حاصل بين المنظرين الإيكولوجيين في حصر مجالها الدّقيق بين حصر المحيط وعموم الطبيعة.

1.2. مفهوم البيئة:

تشير الدراسات أنّ "علماء المسلمين هم أول من استخدم الكلمة بهذا المعنى الاصطلاحي، وتحديدًا ابن عبد ربه صاحب كتاب "العقد الفريد" من أقدم من ذكروا هذا المعنى الاصطلاحي للفظ البيئة إشارة إلى المحيط الطبيعي للإنسان وما حوله من كائنات، وكذلك إشارة إلى المناخ السياسي والأخلاقي والفكر المحيط به" (النشار، 1980، صفحة 15).

ورد مصطلح البيئة على مفاهيم متقاربة الدلالة في مراجع كثيرة، ومنها أنّ "البيئة يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدميها. ويمكن أن ننظر إلى البيئة من خلال الأنشطة المختلفة؛ فنقول: بيئة زراعية وبيئة ثقافية وبيئة صحية، وغيرها من البيئة كالاقتصادية والسياسية" (الحمد، صبارني، 1979، صفحة 14).

تطلق البيئة كذلك من جهة أخرى على الزمان والمكان. وقد جاء في تعريفها بأنّها "مجموع الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد والمؤثرة فيه؛ حيث نقول: البيئة الطبيعية أو الخارجية، والبيئة العضوية أو الداخلية، والبيئة الاجتماعية والبيئة الفكرية. وقد عبّر عن ذلك "كلود برنار" بقوله: هناك بيئتان تؤثران في الكائن الحي: الأولى هي البيئة الكونية أو الخارجية، والثانية هي البيئة العضوية أو الداخلية، وتطلق البيئة بهذا المعنى على الزمان والمكان من جهة، وهما إطاران محيطان بالظواهر الطبيعية" (النشار، 1980، صفحة 15). يمكن القول مما سبق: إنّ البيئة هي الوسط الذي يمكن للإنسان أن يعيش فيه مؤثرًا ومتأثرًا، يتسع مجالها ويضيق. والبيئة هي الطبيعة وكل ما يحيط بالإنسان، ومدى اتصاله بالكائنات والجمادات، وتفاعله معها وتفاعلها معه.

ولما كانت البيئة تتصل بمجالات كثيرة، كان للبيئة علما خاصا يعنى بها. وهو "العلم الذي يدرس مجموع العلاقات والتفاعلات الموجودة بين الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى" (راضي خنفر، راضي خنفر، 2016، صفحة 18). وهو مصطلح عليه بالأيكولوجيا. وقد أصبح مرادفا لمناصرة القضايا البيئية بصفة عامة.

يسلط علم البيئة الضوء على العناصر المكونة للبيئة، مع التركيز على العلاقات بين كل الكائنات الحية وغير الحية على حدّ سواء. كما يركز على التأثير المتبادل بين جميع المكونات، ويتصل بمجالات شتى، ومنها الأدب؛ فهو من المجالات الأكثر حضورا في السرديات الاجتماعية والسياسية والثقافية باعتباره السياقي المكاني أو الجغرافي الذي يحيط بالإبداع الأدبي على اختلاف أجناسه. ومنه كان الفكر الأيكولوجي متغلغلا في مذاهب شتى من مذاهب النقد، كالرومانسية والروحانية، والأدب والسياسة" (غزول، 2023، صفحة 12).

2.2. مفهوم ونشأة النقد البيئي:

لا يبتعد تعريف النقد البيئي عن مفهوم الأدب الذي يختص بها. فالنقدي البيئي هو إعادة النظر في تصور الإنسان للطبيعة والبيئة، وفي تفاعلاته معها كنوع من التصالح المروم بينهما" (محمد فوزي، 2019، صفحة 29، 30). يعرّفه الناقد جورج جرارد بأنّه "دراسة علاقة ما هو إنساني باللا- إنساني على مدى التاريخ الثقافي البشري، وتقديم تحليل ناقد لمصطلح الإنساني ذاته" (جرارد، 2009، صفحة 11). والمركزية حسب التعريف هنا، هي للكائن البشري، وعليه تركز الدراسة البيئية؛ لأنّه المسؤول عن كل ما يحدث للمكونات البيئية. أما جوزيف ميكر Joseph Becker، فقد عرّفه "بأنّه دراسة الموضوعات والعلاقات البيولوجية التي تظهر في الأعمال الأدبية، وهي محاولة لكشف الأدوار التي يؤديها الأدب في علم أيكولوجية الكائنات الحية" (الشايطة، الركابي، 2016، صفحة 190).

عموماً، يتجلى النقد البيئي في النصوص التي تناولت البيئة، وفي مدى تأثير هذا الأدب في توعية الناس بضرورة الحفاظ على مكونات البيئة وتجنب كلّ ما يلحق بها من ضرر. ورغم أنّ مصطلح النقد البيئي تمت صياغته سنة 1978، إلا أنّ أوضح استخداماته كانت في أبحاث "شيريل جلوت فيلتي" (Cheryl Gllotfelty) في كتابها الشهير "دليل قارئ النقد البيئي معالم في علم البيئة". وقد رأت بأنّه دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة. وهي بذلك تشير إلى دور الإنسان في كل ما يحدث من تغيرات على الطبيعة أو على الكائنات الأخرى غير الإنسانية. أما جميل حمداوي، فقد عرّف هذا التيار النقدي بأنّه بقوله: "دراسة النصوص والخطابات الأدبية، أو المكان أو الأرض، أو الحياة داخل الإبداع الأدبي والفني، وذلك بالتنظير والتحليل، والقراءة والفحص، والدراسات بغية رصد رؤى الكاتب والمتقنين تجاه البيئة" (حمداوي، 2016، صفحة 297).

على هذا الأساس، يسعى النقد البيئي إلى تتبع حضور البيئة بمكوناتها في النص الأدبي، وتحليل مدى وجود الطبيعة. لكن ليس من الزاوية المعتادة التي يبرز فيها الناقد جماليات الطبيعة والتغني بها؛ وإنّما من جانب حضور وعي المبدع بوجود ضرر يحقّ بالطبيعة، ومعاناتها من التطور الصناعي ولا مسؤولية الإنسان. بذلك فإنّ النّقد البيئي صنو الأدب البيئي. وقد جاء من خلاصة اهتمام بعض المنظمات والجمعيات التي تهتمّ بالبيئة، وتسعى للحفاظ عليها بجميع الوسائل المتاحة. ومنه رأت في الفنون الأدبية أنجع الوسائل لتلك الغاية، خاصة أنها تخاطب المشاعر قبل العقول.

3.2. علاقة البيئة بالأدب وتأسيس النّقد البيئي:

ظلّ التّوجّه النقدي التراثي رغم ما عليه من خصائص العفوية والدّائنية رحداً من الزّمن إلى أن جدّ جديد الحداثة، فظهرت اتجاهات مستحدثة من رؤى مختلفة داخل وخارج النّص تعتمد إلى تحليل العمل الإبداعي، وإلى

توضيح صلته بالمجالات الأخرى. ومنها ما يعرف بالأدب الرومانسي الذي كان بمثابة ردّ الفعل أو نتاج للتطور الصناعي والزّخم الحضاري الزّاهن، وما نتج عنه من تعسف على الطبيعة من لدن الإنسان. وكان من خلاصة تلك الحركات، تبلور النظرة نحو البيئة والطبيعة.

ولكون التطور الصناعي الحديث وصلت إليه البشرية أنتج مشكلات بيئية كثيرة وخطيرة، كالاختباس الحراري، وتناقص المساحات الخضراء، والتلوث الناجم من النفايات الصناعية، أصبح لزاما على الباحثين تقصي الحلول العاجلة في حماية الطبيعة من التلوث الناتج عن إسراف الإنسان وتعسفه، والتّجني على بيئته، لذلك ظهرت حركات سياسية وجمعيات حقوقية تطالب بضرورة الاهتمام بالبيئة وبمكوناتها.

فرغم تسخير جميع الوسائل التكنولوجية في محاولة التّحسيس بأهمية الحفاظ على الطبيعة، إلا أن تلك الوسائل لم تكن كافية وحدها، إذ لابد من إشراك وسائل أخرى، كالفنون مثلا، فكان الأدب من بين المجالات التي أثبتت نجاعتها، باعتباره يخاطب الأحاسيس والمشاعر، ويساعد على نشر الوعي، والدفاع عن الطبيعة؛ فظهر ما يسمى الأدب البيئي. غير أنّ "السؤال الأهم الذي يُطرح هنا، هو كيف تسهم الدراسات الأدبية في الحفاظ على البيئة؟ والإجابة عن السؤال تتطلب أولا الفهم بأنّ مشاكل البيئة الحالية هي من صنع البشر، وأنها ليست نتيجة آلية لعمل أنظمة البيئة، وإنّ التعامل مع المشكلة يتطلب فهم أثر الإنسان في الطبيعة بشكل واضح، وفهم طرق تعاملنا مع أنظمة البيئة، ثمّ توظيف هذا الفهم في مسار إصلاحها" (الشايطة، الركابي، 2016، صفحة 193).

تأسست لهذا الغرض جمعيات مدافعة عن الطبيعة، منادية بضرورة الحفاظ عليها، ك"جمعية دراسة الأدب والبيئة" التي أصدرت لذات الغرض مجلة "دراسات متعددة التخصصات في الأدب والبيئة"، وكانت تنظم ملتقى دوليا كلّ عامين. كما أنشأت موقعا على الشبكة العنكبوتية عنوانه "الأدب البيئي العالمي". وقد قدّم مؤسس الجمعية "سكود سلوفيتش" خطابا وصف فيه النقد الأيكولوجي ومجاله بقوله: "النقد الأيكولوجي هو دراسة النصوص من حيث العلاقة بين الإنسان والطبيعة في أي نص" (الشايطة، الركابي، 2016، صفحة 195). منذ تلك الفترة، ظهرت جمعية دراسة الأدب والبيئة، وأخذ هذا الأدب صبغة رسمية للنقد البيئي.

ظهر هذا التّوجه فعليا في أمريكا مع النّصف الثاني من القرن العشرين. وهو يهدف في موضوعه إلى بيان قيمة البيئة، ومدى قدرة الأدب على ترسيخ الوعي اللازم في نفس الإنسان نحو المصالحة البيئية والحفاظ على مكوناتها، سواء الكائنات الحية، كالحیوانات والنباتات، أو الجماد على حدّ سواء.

انتشرت بعد ذلك دراسات وأبحاث أيكولوجية تدعو إلى فهم واهتمام أكثر بالطبيعة، والنّظر في أهميتها، كدراسة جوزيف ميکار Meker Joseph كوميديا "البقاء على قيد الحياة"، ودراسة ويليام روكورت Willim Ruuecert

الموسومة بـ "الأدب والأيكولوجيا". ثم توالى الدراسات في تأدية دورها وفق مبدأ أن "مهمة الدارسين للأدب ليست إجراء الإصلاح؛ بل المساعدة في تحقيق الفهم، فهُم مختصون في دراسة قيم الأدب ومعانيه، وقانون الأدب ووجهة نظر اللغة. ومن خلال تلك الميادين، يقدمون إسهامات فاعلة وأساسية لهذا الفكر" (الشايطة، الركابي، 2016، صفحة 193).

ثم في النصف الثاني من القرن العشرين، زاد الخوض في واقع البيئة والنص البيئي في الأدب الأوربي؛ فتشكلت أحزاب سياسية ومنظمات حقوقية كان لها الأثر البالغ في ظهور وافد جديد في الساحة الأدبية، وهو النقد البيئي. وقد حظي هذا الوافد بمصطلحات كثيرة "النقد الأخضر" Green Criticism، وسمي أيضا بنقد التبيؤ أو النقد البيئي، أو النقد الأيكولوجي ECO CRITICISM. وقد استخدم مصطلح النقد الأيكولوجي (ECO CRITICISM) أولا الباحث وليام روكيرت WILLIAM RUECERT، ثم بعد ذلك بدأت تظهر في التسعينيات محاولات في مجال النقد البيئي؛ فنظمت مؤتمرات له. وفي سنة 1992م، نظمت رابطة الأدب الأمريكية ندوة بعنوان "كتابات الطبيعة في أمريكا" تأسست إثرها رابطة جديدة تعنى بدراسة الأدب والبيئة، وأصدرت مجلة "دراسات معرفية في الأدب والبيئة ISL"، لتكون بذلك منبرا للدراسات النقدية الأدبية والفنية التي تهتم بالبحث والتبيؤ (الشايطة، الركابي، 2016، صفحة 190). ومن خلال هذه الحركة، أصبح للنقد البيئي حضورا بارزا، واستمد قوته وفعاليته وحتى شرعيته من المنظمات التي تتبنى حماية البيئة.

3. دراسة أيكولوجية في مقدمة قصيدة "الشمقمقية"

1.3. لمحة عن الشاعر والقصيدة:

الشاعر هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان الملوكي الحميري، الفاسي دارًا وقرارا. عاش في العصر العباسي. ولم يعرف عن حياته أو وفاته الكثير، لكن غالب الظن أنه توفي سنة سبع وثمانين ومائة وألف من الهجرة 1187هـ (المكي الشريف، 2000، صفحة 10). كان أبوه أديبا ظريفا، صاحب الملح والنوادر، وكان به صمم، لكنه يفهم بلطيف العبارة ما لا يدركه غيره من صريح العبارة. أعجب السلطان به وبأدبه، فكناه بأبي الشمقمق، فلزمته الكنية، وتعدت إلى قصيدة ابنه؛ فهي لا تدعى إلا بالشمقمقية". (كنون الحسني، 1979، الصفحات 5-6). ولما مات والده اتصل بالسلطان وأظهر براعته في الأدب وفي نظم الشعر، فقربه منه وكانت الأرجوزة الشمقمقية التي تقتصر على دراسة مقدماتها؛ لأنها تحتوي على عدة أغراض شعرية: منها النسيب والفخر والحماسة، والأمثال والحكم.

وهذه الأرجوزة الشَّمَقْمَقِيَّةُ فيها من الفوائد الشيء الكثير، فضلا عن الأغراض الشعرية المتعددة، فإن فيها الكثير من الأمثال والحكم وأسماء النباتات وأسماء الحيوانات.. وما يميزها هو حضور الوعي البيئي واهتمام الشاعر بالإبل في مطلع الأرجوزة، فقد وصف الإبل التي تتحمل المتاعب وتقطع البيد والفيافي، ووجه عتابا للحادي الذي يحثها على السير ليلا ونهارا حتى أضرب بها ضررا بليغا، مبدياً عطفاً شديداً نحو الإبل. وهذا دليل على وعيه البيئي ومعرفة قيمة الناقة ودورها، لذلك كان منه هذا الموقف الواعي.

2.3. ارتباط وصلة الشاعر بالبيئة في مقدمة القصيدة:

في كل بيت من مقدمة القصيدة الشَّمَقْمَقِيَّة، نلمس ارتباط الشاعر بالبيئة الصحراوية، وندرك معرفته بتشعبات الصحراء وخباياها، وتضلّعه في مكوناتها من نباتات وأشجار، وحيوانات مفترسة وطيور؛ فقد وظف في قصيدته العديد من الحيوانات والنباتات والطيور التي لا يعرفها إلا متمرسٌ خبير بالصحراء ودروبها، فمن غير المعقول أن يتحدث عن بيئة الصحراء ويمعن في وصفها هذا الوصف الدقيق بكل مكوناتها، ما لم يكن ابن هذه البيئة، وناشئا فيها، لذلك قيل: الشاعر ابن بيئته.

ما يجعلنا على يقين من ارتباطه بالبيئة وصدق مشاعره، هو هذه المقدمة التي تجاوزت الأربعين بيتا، كلّها تتحدث عن المعاناة التي لحقت بالإبل في سفرها، وتصف المشقة التي تكبدها والصعوبات التي لاقتها؛ فالشاعر منذ البيت الأول أبدى موقفه الذي ينحاز للطبيعة ضد الإنسان الذي يمثل الآخر، ويمثل المتسلط على الطبيعة من وجهة نظر النقد البيئي. وما يُظهر ارتباطه بالبيئة، وحرصه عليها، أنه كسر العرف السائد في افتتاح القصائد بذكر الأحبة والوقوف على الأطلال، ومغالبة الشوق إلى الديار ومن يسكنها، ومنه بدأ مباشرة بأسلوبه الطلبي المتمثل في فعل الأمر الموجه للحادي، طالبا منه الكفّ عن التجنّي والإساءة إلى الإبل، منبها إياه أنه كرّر فعلته معها، وقسى عليها وعقّفها، ودفعها إلى السّير في أماكن مجهولة.

يظهر ارتباط الشاعر بالبيئة كذلك في وصفه للكثير من النباتات والأشجار التي لا تنبت إلا في الصحراء؛ إذ معرفته بالصحراء جعلته يذكر ما يقارب السبعة عشر نوعا منها؛ نبات المرخ، العقار، العَصَاه، البَشَام، الأثل، الخَرْبِق، الزَّمْنِث، الخُلَّة، السَّعْدَان، الشَّرِي، السَّمْسَق، والعُشْر والإِسْجَل، والثَّمَام والبَهَار.. كما ذكر العديد من أسماء الحيوانات المفترسة والطيور، ومنها: السَّمْع، اليعقوب، القشّة، السّيد، السّبْنَى، القطا، الجَوْرَق، واللّيل والنّهار، والرّئال والهَيْثَم، والعُكْرَمَة والخَرْبِق.. ولا أدل على ارتباط الشاعر بالبيئة الصحراوية من ذكره لتلك المسميات من الحيوانات والنباتات، إذ لا يحسن ذلك إلا عارف بالصحراء، ممتزج معها.

لم يتوقف الشاعر مع أبيات المقدمة عن إسداء نصحٍ للحادي أو توجيه ملامةٍ وعتابٍ، وقد وصل الأمر إلى التهديد بالقتل لولا أنّ الشاعر يتصف بالحلم والأناة التي استقاها من بيئته أيضاً، وتعلمها من أهل البادية، أمثال الأحنف بن قيس، وغيره من أهل الحلم والعقل، وكل ذلك حرصاً على سلامة النوق وراحتها.

تؤكد الأبيات الثلاثة الأخيرة في المقدمة علاقة الشاعر بالبيئة وبمكوناتها، وتلخص ما سبق، وتؤكد وعيه على سلامتها، والسعي للدفاع عنها. وبعد كل المحاولات التي قام بها تجاه الحادي الذي يمثل (الآخر) المعادي للطبيعة والمتسبب في عنائها؛ حيث يقول (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 196):

وَلْتَحْذَنِي رَائِدًا فَإِنِّي * * ذُو خَبْرَةٍ بِمُبْهَمَاتِ الطُّرُقِ
إِنْ غَرِثْتُ عَلَفْتُهَا وَلَوْ بِمَا * * جَمَعْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقِ
أَوْ صَدَيْتُ أَوْرَدْتُهَا مِنْ أَدْمَعِي * * نَهْرَ الْأُبْلَةِ وَنَهَرَ جِلْقِ

بعد نفاذ جميع سبل الإقناع في الإقلاع عن الإساءة للإبل، والتسبب في تفرقها ونشتتها، يطلب من الحادي بأن يسلمه زمام هذه النوق ليعتني بها، لأنه أعرفُ منه بها وذلك لثلاثة أسباب:

- لأنه خبير بمبهمات الصحراء، وعارف لبيئتها ومتطلباتها، ومخالطته للصحراء أكسبه خبرة، وسعة اطلاع على أمور كثيرة تجعله يستطيع الاعتناء بالإبل، والحفاظ عليها باعتبارها من مكونات الطبيعة، وباعتبارها كائنًا له الحق في أن ينعم بالعيش الكريم والراحة، لأن النظرة الأيكولوجية الحديثة تنفي المركزية والهيمنة.

- تعلقه بالبيئة الصحراوية وامتزاجه بها، جعله يسعى للحفاظ والدفاع عنها وعن مكوناتها ضدّ كلّ من يتسبب في إتلافها. والحادي في نظر الشاعر، بالغ في استغلال الإبل التي تمثل مكوّنًا هامًا من مكوّنات البيئة الصحراوية، لذلك شدّد لهجته نحوه، ودعاه بكل السبل حتى يتوقف عن التّجنيّ والقسوة.

- شعوره بالمسؤولية تجاه بيئته، جعله يعاتب الحادي، ويصنّفه في خانة الآخر الذي يتسبب دائماً في إتلاف البيئة بتصرفاته اللاواعية؛ فقد أذنب في حق البيئة ومكوناتها؛ حتى يكون عبرة لغيره.

جميع تلك الأسباب والأمثلة، تقصص مجتمعة مدى ارتباط نفس الشاعر بالبيئة، وتظهر مدى حبه لها. كما تتمّ عن المسؤولية والوعي عند الشاعر العربي، وارتباطه بمكونات الطبيعة.

3.3. الوعي البيئي والقيم الأخلاقية في مقدّمة القصيدة:

نتتبع في هذا المبحث تجليات النّقد البيئي في مقدّمة القصيدة الشّمقمقية. ونكشف كلّ ما يثبت فرضية الوعي البيئي التي يتمتع بها الشاعر، وهل فعلاً عالجت القصيدة قضايا ومشكلات بيئية؟

حين تحليل القصيدة من بدايتها، ومن البيت الأول تحديداً، يدرك المتلقي أنّ الشاعر يعالج مشكلة بيئية، وذلك من خلال أسلوبه الإنشائي المتمثل في فعل الأمر الطلب، وغرضه العتاب واللوم كما تقتضيه تأويل بلاغة الأبيات. يقول الشاعر مطلع المقدّمة (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 63):

مهلاً على رسلكَ حادي الأيُنُقْ * * ولا تُكَلِّفْها بما لم تُطِيقْ

فطالما كلفتها وسُقَّتْها * * سَوَّقَ فتى من حالها لم يُشْفِقْ

يركّز الشاعر إذن منذ مطلع القصيدة على جانب من مركبات الطبيعة، وهي الإبل، باعتبارها كائناً مهماً في حياة العرب، وجب الالتفات إليه والمحافظة عليه. لذا يرفض الشاعر معاملة الحادي لها حين يسوقها دون شفقة ورحمة، مما يستنزف قوتها، ويؤثر على نفسيّتها، حتى لم تعد قادرة على التّحمل، خاصّةً أنّه يسير بها ليلاً ونهاراً دون توقف، وهذا ما جعلها تنتشت في الصحراء.

يستمر الشاعر في تفرّيع الحادي ولومه مع الأربعين بيتاً التي احتوتها مقدّمة القصيدة. وهو بهذا الأسلوب يعالج مشكلة بيئية، تتمثل في تورط الإنسان في التّجني على البيئة، وعدم الشعور بالمسؤولية تجاهها، لذلك نجده يلومه حيناً، وينصحه حيناً، ويهدده أحياناً أخرى، وكل ذلك في سبيل الوعي والشّعور بالمسؤولية، خاصّةً أنّ صراع التاريخ البشري والتاريخ الطبيعي صراع قديم.

نكتفي بتحليل المقدّمة الشمقمقية باعتبارها تقي بالغرض المنشود، وهي مطلع القصيدة على تمامها ومضمونها؛ خاصةً أنّ المقدمة تفوق الأربعين بيتاً، كلها تتحدث عن حوار بين الشاعر وحادي النوق. وتتجلى في هذه المقدّمة القيم الأخلاقية والإنسانية التي يحملها الشّاعر، بالإضافة إلى روح المسؤولية التي يتحلّى بها تجاه الإبل باعتبارها مكوناً بيئياً يجب الحفاظ عليه.

يبدأ الشّاعر الأرجوزة بقوله (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 63):

مهلاً على رسلكَ حادي الأيُنُقْ * * ولا تُكَلِّفْها بما لم تُطِيقْ

فطالما كلفتها وسُقَّتْها * * سَوَّقَ فتى من حالها لم يُشْفِقْ

يخاطب الشاعر بهذه الأبيات "حادي النوق" الذي يغني للإبل لتجدّ في سيرها وتسرع؛ فبيداً منذ الوهلة الأولى بعباته وملامته، طالبا منه التمهّل والترفق بها، وعدم تكليفها بما لا تطيق. وهذه بداية بيئية، تجعل الشاعر يخرط في الوعي البيئي، والشّعور بالمسؤولية في الحفاظ على مكوناتها، يفسر له في البيت الثاني: أنك كلفتها وأتعبتها بغنائك؛ وهذا دليل على تورط التاريخ البشري في التاريخ الطبيعي كما وصف "لورنس بويل" Buell Lawrance؛ لأنّ العلاقة ليست حديثة بين الإنسان العربي والإبل، فهي علاقة عريقة منذ العصور الأولى.

وكمثال آخر، يقول الشّاعر ناظما (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 73):

ولم تَزَلْ تَرْمي بها أَيْدِي النُّوى * * بكلِّ فَجٍّ وَفَلَاةٍ سَمَلَقِ

في هذا البيت يخبر ابن الونان الحادي بأنّ الإبل تعبت من البعاد، وتعبت من خوض غمار الفيافي الخالية والصعبة؛ حيث شبه النوى بالإنسان، لكنه لم يذكره، وإنّما ذكر لازمة من لوازمه وهي الأيدي، ورغم تخيّل للصورة، فإن يد الإنسان متورطة في الواقع؛ فهو الذي يسوقها في الحقيقة، ويتسبب لها في هذه المعاناة (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 81).

وما ائْتَلْتُ تَنْزُرُ كُلَّ فَدْفَدٍ * * ذراعها وكلّ قاعٍ قَرِقِ

وكلّ أبطحٍ وأجرعٍ وجزٍ * * عٍ وصريمةٍ وكلّ أبرقِ

يقصد هنا بما ائتلّت، أي ما قصرت. وتذرع كلّ فدقد: أي تقطع المسافات الطويلة في الصحراء، وكل أرضٍ سواء كانت مسبوطة، أو وعرة أو محصية. والمعنى أنّ الحادي ساق الإبل إلى الأماكن الصعبة والخالية والتي يصعب قطعها والسّير فيها. ثمّ قائلًا (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 88):

مَجَاهِلًا تَحَارُّ فِيهِنَّ الْقَطَا * * لَا دِمْنَةً لَا رَسْمٌ دَارٍ قَدْ بَقِيَ

ليس بها غيرُ السّوافي والحوَا * * صِبِّ الحَرَايجِ وكلّ زَحَلِقِ

يوصل الشّاعر وصفه للأماكن والطرق الصعبة، والمجاهل التي تحار في الاهتداء إليها القطا. ومعلوم أنّ العرب تضرب المثل بالقطاة في الاهتداء ومعرفة الأماكن، فيقولون: "أهدى من قطاة"؛ لأنها تهتدي إلى عشاها، وتعود إليه رغم صعوبة الاهتداء إليه، وهذه الأماكن ليس فيها غير السّوافي والحواصب الحراجيج، وكلّ زحلّق، وهي كلّها مُسمّياتٌ للرياح.

ثمّ يواصل في ذكر بعض الأشجار والنباتات والحيوانات المفترسة وغير المفترسة، ليبيّن معرفته بالصحراء وخباياها (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 94):

والمرخ والعفّار والعِضاءِ وال * * بَشَامِ والأَثَلِ ونبتِ الخَرْبِقِ

والرَّمْثِ والخَلَّةِ السَّعْدَانِ والث * * ثَغْرِ وَشَرِيٍّ وَسَنَا وَسَمْسَقِ

والمرخ والعفّار، والعضاء وغيرها، كلّها أنواع من النباتات والأشجار التي لا تنبت إلا في الصحراء. وهي كما عدّها الشّاعر تزيد عن عشرة أنواع، وهذا دليل على معرفته وخبرته وكثرة مخالطته للصحراء، ثمّ ينتقل إلى ذكر أنواع أخرى من مكونات الطبيعة، فيذكر لنا مجموعة من أسماء الحيوانات (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 105):

وَالسَّمْعُ وَالْيَعْقُوبُ وَالْقَشَّةُ وَالسَّ * * يَدِ السَّبْتَى وَالْقَطَى وَالْجَوْرَقِ

وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالرِّئَالِ وَال * * هَيْثُ مَعَ عِكْرَمَةٍ وَخَرْنَقِ

فالسَّمْعُ هو حيوان ينتج من تزاوج الذئب مع أنثى الضبع، يضرب به المثل في حدة السمع وسرعة الجري. ثم يذكر عدة حيوانات، مثل السيد السبنتي، وهو الذئب، واليعقوب ذكر الحجل، واللَّيْلِ صغير الكروان، وهو طائر يضرب به المثل في الجبن؛ فيقال: أجب من ليل، والنهار، هو ولد الحباري، ويضرب به المثل في الحمق؛ فيقال: أحق من نهار. أما الرئال، فهو ولد النعام، والهيثم فرخ العقاب، والعكرمة أنثى الحمام، والخرنق هو الفتى من الأرناب.

كل هذه الأسماء من حيوان ونبات، وأسماء الأماكن ومسميات الرياح التي ذكرها الشاعر، دليل ثقافة وممارسة، ومؤشر خبرة وتمكن في المجال، ومعرفة بالصحراء ومسالكها، ومصاعبها، ودليل وعي أيضا بالبيئة وبالطبيعة ومكوناتها.

ثم يعود إلى الحادي ويستمر في تعاطفه مع الإبل في قوله (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 118):

وَلَمْ تَزَلْ تَقْطَعُ جُلُبَابَ الدُّجَى * * بِجَلَمِ الْأَيْدِي وَسَيْفِ الْعُنُقِ

قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْمَحَاسِنُ بِإِد * * مَانَ السُّرَى وَقِلَّةِ التَّرْفُقِ

في هذين البيتين صورة بيانية رائعة؛ حيث شبه الليلَ البهيم الذي تسير فيه النوق بالجلباب الأسود. وشبه أرجل الناقة بالجلم وهو المقص الذي تُجَزُّ به الإبل. وشبه أعناقها كأنها السيف؛ فهي تقطع المسافات في ظلمة الليل بكثرة السير وعدم التوقف، وهذا خيال بيئي زاد القصيدة جمالا. ثم يكمل قائلا (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 122):

فَمَا اسْتَرَحْتُ مِنْ عُبُورِ جَعْفَرٍ * * وَمِنْ صُعُودِ لِصْعِيدِ زَلِقِ

إِلَّا وَفِي خَضْخَاضٍ دَمَعِ عَيْنِهَا * * خَاضَتْ وَغَابَتْ بِسَرَابٍ مُطْبِقِ

يخبرنا الشاعر هنا، أنَّ النوق لا تكاد تستريح من عبور جعفر، وهو النهر الصغير حتى تصعد إلى مكان صعب ومنزلقٍ خطير، وتكاد تهلك من نتيجة ما لحقها من التعب، حتى وصفها بأنها صارت تمشي في الأرض التي بللتا دموعها، وتغيب في السراب المطبق حتى لا تكاد تراها (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 125).

كَأَنَّمَا رَفْرَافُهُ بَحْرٌ طَمَا وَالنُّوقُ أَمْوَاجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِي

وَكُلُّهُ هَوْدَجٌ عَلَى أَقْتَابِهَا مِثْلُ سَفِينٍ مَآخِرٍ أَوْ زَوْزَقِ

يسترسل في حديثه عن السراب، واصفا إياه كأنّه البحر الهائج، والنوق كأنها أمواج. كما شبه كلّ هودج على ظهر الناقة بالسفينة التي تتقاذفها الأمواج، وهذا وصف بديع يجعلك تتخيل المشهد كأنّه حقيقي، ويجعلك تدرك معاناة الإبل أثناء رحلتها، فهي التي تجابه الحرّ، وتواجه الرياح الحواصب، وتكابد الجوع والعطش إلى درجة أنها تتفرق ويتوه بعضها عن بعض. ثم يكمل ملامته وزجره للحادي بقوله (البطاوري الرباطي، 2020، الصفحات 140-131):

وكمْ بِسَوَاطِ الحَدَوِ سَقَتْ سَوْقَهَا لِسَوْقِ مَكْرِ سَوْقَ مَنْ لَا يَنْقِي
حَتَّى غَدَتْ خُمَصًا عِجَافًا ضُمَّرًا أَعْنَاقُهَا تَشْكُو طَوِيلَ العَنَقِ
مَرْثُومَةُ الأَيْدِي شَكَّتْ فَرَطَ الوَجَا لَكُنْهَا تَشْكُو لِغَيْرِ مُشْفِقِ
قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا المَحَاسِنُ بِإِد مَانَ السُّرَى وَقِلَّةِ التَّرْفُقِ

يستمر الشاعر دائما مبديا تأثره وقلقه تجاه ما تعانيه هذه الكائنات التي تُقدم للإنسان المساعدة، وتحمله في سفره؛ فيذكر الحادي بأنّ حُدَاءَهُ لها بمثابة السوط الذي يجلدّها به. وهو لا يترك لها وقتا للراحة، وأنّه يسوقها سَوْقَ مَنْ لَا يَنْقِي الله فيها، حتى أصبحت خُمَصًا عِجَافًا؛ أي هزيلة ضامرة لا تقوى على السير لقلة الطعام وكثرة السير، وذهبت منها المحاسن، فلم تعدّ تبدو كما كانت من قبل، وكل ذلك من مواصلة السير ليلا، وقلة ترفق الحادي بها، لكنّها للأسف تشكو لِغَيْرِ مُشْفِقِ، فهو لا يشعر بتعبها ولا يأبه لما آلت إليه حالها (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 147).

مَنْ بَعْدَ مَا كَانَتْ هُنَيْدَةً غَدَتْ أَكْثَرَ مِنْ دَوْدٍ وَدُونَ شَنْقٍ

والهنيدة من الإبل هنا، معناها مائة، يريد الشاعر أنّ الإبل من بعد ما كانت مائة، تفرقت وتاه بعضها عن بعض، ولم يبق منها إلا القليل. وقد أصبحت أكثر من دودٍ ودون شَنْقٍ، والدودُ لا يتجاوز الثلاثين، والشَنْقُ ما كان أقلّ من عشرين. والمعنى هنا، أنّ الإبل تفرقت في الصحراء من بعد ما كانت مجتمعة مع بعضها بأعداد كبيرة؛ قلّ عددها، وصار بين الثلاثين والعشرة، وكلّ هذا بسبب الحادي الذي لا يشفق عليها، ولا يتعاطف معها (البطاوري الرباطي، 2020، الصفحات 171-161).

فإِنْ تَمَادَيْتَ عَلَى إِثْعَابِهَا * * وَلَمْ تَكُنْ مُنْتَهِيًا عَنْ رَهَقِ
فَسَوْفَ تَعْرُوكَ عَلَى إِثْعَابِهَا * * نَدَامَةُ الكُسْعِيِّ وَالْفَرَزْدَقِ
فَأَنْتَ أَظْلَمُ مِنْ ابْنِ ظَالِمٍ * * إِنْ كُنْتَ مِنْ بَعْدِهَا لَمْ تَرْفُقْ

في هذه الأبيات، يحذر الشاعرُ الحادي بقوله: فإن تماديت وبقيت على إصرارك في طريقك مع الإبل، فسوف تتدم كما ندم الكسعي الذي كسر قوسه وخسرهما، ونَدَمَ الفرزدق الذي طَلَّق زوجته نوارا ولم يجد سبيلا إلى مراجعتها. ومن هنا تبدأ موجةً من الأمثال والحكم وأخبار العرب؛ حيث تظهر ثقافة الشاعر الواسعة، وتظهر سعة قاموسه اللغوي من جهة، وقاموسه البيئي والطبيعي من جهة أخرى.

ثم يعقب له القول في البيت الثالث: إذا لم تنته عن ظلمك للإبل، فأنت أظلم من ابن ظالم؛ "وابن ظالم هو الحارث بن ظالم من العرب يضرب به المثل في الظلم. ومنها أنه ضرب رجلا بسيفه فقتله، فأخبر بعده فقال: سبق السيف العذل، فأرسلها مثلاً". وتلكم الأبيات الثلاثة، فيها ثلاثة أمثال عربية تحمل أخبار العرب: وهي خبر الكسعي، خبر الفرزدق، خبر ابن ظالم، ولكل واحد منهم قصة مدونة في أخبار العرب.

ثم يواصل أسلوبه الطلبي تجاه الحادي (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 165، 176):

رفقا بها قد بلغ السيلُ الزبيُّ * * واتسع الخرقُ على المرتقِّ

أسأتُ للغيد وللنوق ولي * * إساءةً بتوبةٍ لم تُمَحَقْ

ومعنى "بلغ السيل الزبي"؛ أي أن الأمر لم يعد محتملاً، وأن حالة النوق مزرية جداً فأُرفق بها، وكن رحيماً أيها الحادي. و"بلغ السيل الزبي"، هو مثل عربي، يضرب عندما يتفاقم الوضع. وكذلك المثل العربي "اتسع الخرق على المرقق"، يحمل نفس المعنى، ويشير إلى أن الأمر غير مطاق، وأنتك مهما فعلت لتصلح خطأك، فإنك لن تستطيع، لأنك أيها الحادي، أسأت لهذه الحيوانات البريئة التي لا تملك أمرها، وأسأت للغيد التي تركب هذه الهوداج، وأسأت لي أنا أيضاً، ولم ترفق بمن تحمل محبوبة الشاعر (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 180).

لو لم يكن بحلمٍ أحنفٍ * * والمنقريُّ قلبِي ذا تَعَلَّقِ

حملتُ رأسك على شَبَى القنا * * مَرَوْعاً به خُداةَ الأيُنُقِ

في هذين البيتين، ذُكر رجلان من مشاهير العرب يضرب بهما المثل في الحلم والأناة والتعقل. وهما "الأحنف بن قيس"، "قيس بن عاصم المنقري"؛ لذلك قال الشاعر للحادي لولا هذان الرجلان للذان تعلمت منهما الحلم والتريث، لقطعت عنقك، وحملته على رأس الرمح ليزدجر غيرك من الخداة، وتكون عبرة لمن يعتبر.

بلغ غضب الشاعر بالبيتين مبلغه كما بلغ السيل الزبي. غضب حمله التعاطف مع الإبل والإشفاق عليها من كثرة التعب والإرهاق، ومن قلة ترفق الحادي بها (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 187).

فسقُ فلا نَعِمَ عوفُكَ ولا * * أمِنَ خوفُكَ ولا تَدَرِنُقِ

حين لم يُجَدِ الاستعطاف والتودد والعتاب، شدد الشاعر لهجة العتاب في الأبيات السابقة، ثم أكد في هذا البيت الأخير؛ حيث دعا عليه بعدم استقرار الحال؛ فقال له: فلا نعم عوفك؛ أي لا استقرت لك حال لصنيعك بالنوق، وإجهاذك إياها. وقد سلط الله عليك الخوف وعدم الأمن صنيع ما فعلت معها، إذ لم تراع سيرها، ولم تشعر بحالها. ثم يغيّر الشاعر الخطاب مع الحادي مصرحا له: إذا كنت بهذه القسوة وعدم المسؤولية تجاه هذه الكائنات الضعيفة والمنقادة للإنسان، فدع يسوق بعضها بعضا مثل ما دأبت السير لوحدها؛ فهي تعرف كيف تقسم وقتها، وتعرف متى تستريح (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 196، 203).

وَلْتَنَظِّنِي رَائِدًا فَإِنِّي * ذُو خِبْرَةٍ بِمُبْهَمَاتِ الطَّرِيقِ
إِنْ غَرِثْتُ عَلَفْتُهَا وَلَوْ بِمَا * جَمَعْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقِ
أَوْ صَدِيتُ أَوْزُدْتُهَا مِنْ أَدْمُعِي * نَهَرَ الْأُبْلَةُ وَنَهَرَ جِلْقِ

يخبر ابن الونان حادي الإبل بأنّه عارفٌ بالصحراء ومتشعباتها، وخبير بمسالكها، فاترك الإبل لي فإنني أحسنُ الاعتناء بها، وأعرف متطلباتها. فإن غرثت (جاعت)، علقتُها وأطعمتها ولو بما جمعتُ من ذهبٍ وفضةٍ، إن صدّيتُ (عطشت)، سقيتها من أدمعي حتى ترتوي، وإن تعبتُ، تركتها تستريح. وهذا برهان على وعي الشاعر، وتفاعله مع بيئته، وإشفاقه على هذه الكائنات التي تحتاج إلى رعاية واهتمام، وهي تملك الحق في العيش، والراحة والطعام، وغير ذلك مما تحتاج إليه (البطاوري الرباطي، 2020، صفحة 208).

رَفَقًا بِهَا شَفِيعَهَا هَوَاجٍ غَدَتْ سَمَاءَ كُلِّ بَدْرٍ مُشْرِقِ

ينتقل الشاعر مع هذا البيت ليختتم لومه وعتابه للحادي الذي أسرف في التجني على النوق، وأفرط في قسوته عليها وعدم الاكتراث لحالها. من هذا البيت الذي يطلب الشاعر فيه من الحادي الترفق بالنوق، فإنها تحمل الهواج التي بها محبوبته، لينتقل إلى غرض شعري آخر، وهو الغزل وذكر الغيداء ومحاسنها، وذكر المحبوبة لبنى، وما أدراك ما لبنى؛ بها عُرفتُ صبا مغرما ذا قلق، فهو يبرزُ للحادي شدة لومه وعتابه، لأن النوق ليست وحدها، وإنما تحمل فوق ظهورها محبوبة الشاعر، ومعها غيرها من النساء. وهذا في نظر الشاعر، سبب مقنع لتنفق ونشفق على الإبل، ونكرمها.

4. خاتمة:

من خلال الدّراية بهذا التّيار النّقدّي الجديّد الذي يحمل قيما نبيلة وإنسانية تجاه البيئة، ويجعل من وظيفة الأدب تتعدّى كونه نصوصا جمالية وفنية، ومن خلال تحليل مقدّمة القصيدة الشّمقمقية لابن الونان، واستكشاف تجليات النقد البيئي وحضور الطبيعة فيها، خلصت ورقنتا البحثية هذه إلى ما يأتي ذكره وبيانه من نتائج:

- خلف التطور الصناعي والعمران الحضاري المعاصر تهديدات للبيئة، ومخاطر على بقائها على نقائها وطبيعتها، وهو ما يدفع بالجميع نحو المشاركة في الحد من تلك المخاطر، ليكون بذبك الأدب بسرده وشعره وسيلة داعمة لهذا المسعى.

- يسعى النقد البيئي كتيار نقدي جديد إلى الاهتمام بالخطاب البيئي، واستجلاء موقف المبدع من البيئة، وإسهامه من خلال شعوره بالمسؤولية في الحفاظ على ما يحيط بالإنسان من كائنات، ومكاسب طبيعية.

- رغم أن النقدي البيئي جديد على الساحة النقدية العالمية عامة والعربية خصوصا من خلال مباحث شيريل جلوت فلتي "Cherull Gllotfelty" و"لورنس بويل" Buell lawrance، إلا أن حضوره كظاهرة فنية في الشعر العربي القديم، وكظاهرة نقدية في نقد الأولين للشعراء، يظهر أصالة علاقة المبدع بالبيئة والطبيعة، كما يكشف عن اهتمام القدامى بها على اختلاف مكوناتها.

تمثل مقدمة قصيدة الشمقمية للشاعر ابن الونان نموذجا يثبت حضور الطبيعة في الشعر العربي، وخاصة النباتات والحيوانات. وهذا جوهر النقد الإيكولوجي وموضعه الأساس.

تجلت القيم الأخلاقية والأيكولوجية في القصيدة بنسبة تجعل النص يندرج تحت النصوص البيئية؛ وذلك من خلال عتاب ابن الونان لحادي الإبل على الإساءة لها، وهي صديقة العربي في باديته، وراحتله الوفية مهما ارتحل. وهي شريكة أفرأحه وأحزانه.

- زخرت المقدمة الشمقمية بالقيم البيئية، وهي تتفق وتتناسب مع مبادئ النقد البيئي الداعية إلى توجيه الشعر والأدب عموما نحو الحفاظ على المقومات البيئية.

- اتضحت ملامح النقد البيئي لدى الشاعر في صلته بالطبيعة العربية، وخبرته بما يزينها من نبات وحيوان. وقد أورد على هذا جمًا ومسميات كثيرة تنم عن هذه الخبرة والدراية الواسعة بها.

- كأنَّ الشاعر يمثِّل بالعلاقة بين الإبل وحاديها وسائقها، علاقة الإنسان بالحيوان عموما، وبطريقة تفكيره ونهجه الخاطئ المتعسف على البيئة.

- في عموم هذه الدراسة، ورغم أنَّ مهمّة الأدب ليست هي إصلاح البيئة بطريقة مباشرة، والأمر خلاف المنطق إذا ما تصوّرنا أنَّ الأدب يحقق ذلك، لكن باعتباره يخاطب المشاعر والأحاسيس قبل العقول، فإن مهمته لا تقتصر على التأثير في الإنسانية من خلال ذوق فني أو أدبي فحسب، إنّما بالمشاركة في الحد من الإساءة للبيئة، والتجني على الطبيعة المكوّنة لها.

5. قائمة المراجع:

- 1 - أبي حامد المكي البطاوري الرباطي. (2020). اقتطاف زهر الأفنان من دوحة قافية ابن الونان (الإصدار ج1، المجلد 1). الدار البيضاء، المغرب: دار نجيبويه المعرفية.
- 2- أسما، عايد راضي خنفر، راضي خنفر. (2016). *التربية البيئية والوعي البيئي* (المجلد ط 1). الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.
- 3- جبوري غزول. (2023). *علم البيئة* (المجلد دط). (تر: رشا صلاح الدخايني، المترجمون) مؤسسة هنداوي.
- 4- جميل حمداوي. (2016). *نظريات النقد الأدبي والبلاغي في مرحلة ما بعد الحداثة*. المغرب: دار النابغة للنشر.
- 5- جورج جرارد. (2009). *النقد البيئي* (المجلد ط 1). (تر: عزيز صبحي جابر، المترجمون) الإمارات العربية : هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
- 6- رشيد، سعيد الحمد، صباريني. (1979). *البيئة ومشكلاتها عالم المعرفة*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- 7- عبد الله كنون الحسني. (1979). *شرح الشمقمقية* (المجلد ط 5). بيروت ، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- 8- فاطمة الزهراء محمد فوزي. (2019). *النقد الأدبي البيئي قراءة جديدة في الشعر القديم* (الإصدار ج1، المجلد ط 1). القاهرة : دار الأدهم للنشر والتوزيع.
- 9- محمد، أمجد كاظم الشايطه، الركابي. (2016). *مدارس النقد الأدبي الغربي الحديث* (المجلد ط1). عمان، الأردن: الدار المنهجية للنشر والتوزيع.
- 10- مصطفى النشار. (1980). *مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الأيكولوجية المعاصرة* (المجلد دط). لبنان: الدار المصرية اللبنانية.